

أنوار كاشفة سلسلة رمز وحقيقة الحلقة الخامسة والخمسون

سفر النبي ملاخي (٢)

صديقي المستمع، مازلنا ندرس أسفار الأنبياء في العهد القديم من الكتاب المقدس. وهي الأسفار التي احتوت على العديد من النبوءات، التي تحدثت عن خلاص الله الذي سيُعلن، وعن المسيح المخلص الآتي.

وكنا قد بدأنا في اللقاء الماضي بدراسة سفر النبي ملاخي ، آخر أسفار العهد القديم. فبدأنا بدراسة نبوءتين تتحدثان عن مجيء المرسل أو النبي إيليا الذي سيرسله الله، لكي يمهد الطريق أمام مجيء الملك المخلص المسيح. وتبين لنا أن النبوءتين كانتا تشيران إلى النبي يوحنا المعمدان ، أي النبي يحيى. وقد أخبر الملاك والده زكريا الكاهن بولادته ، مؤكداً له أن يوحنا سيهيء للرب - أي للمخلص المسيح - شعباً مستعداً. وسيتقدم أمام الرب بروح إيليا.

وفعلاً، خرج يوحنا المعمدان عندما كُبر إلى البرية ، وأخذ يركز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا. وكان ينادي الجموع قائلاً: توبوا لأنه قد إقترب ملكوت السموات. أي إقترب الزمن الذي سيحل فيه ملكوت الله على البشر. أما لباس يوحنا المعمدان فكان من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد. وكان طعامه جراداً وعسلاً برياً. أي كان نمط حياته مشابهاً للنبي إيليا ، الذي كان يلبس ثوباً من الشعر ومنطقة من الجلد ، وقضى معظم أوقاته في البرية.

وقد أنتت إلى يوحنا المعمدان في البرية ، جموع غفيرة من جميع أنحاء فلسطين والأردن. واعتمدوا منه في نهر الأردن معترفين بخطاياهم. وتعني المعمودية كما ذكرنا سابقاً ، الغطس أو الغسل بالماء ، وترمز إلى التطهير من الخطية. وعندما رأى يوحنا المعمدان أن كثيرين من فرقة الفريسيين اليهودية المتعصبة ، وفرقة الصدوقيين اليهودية المتحررة يأتون إلى معموديته قال لهم: " يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي. فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة. ولا تفنكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً. لأنني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم. والآن قد وُضعت الفأس على أصل الشجر. فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تُقطع وتُلقي في النار." (بشارة متى ٣: ٧ - ١٠)

أي أكد لهم يوحنا المعمدان أهمية التوبة وصنع الثمر ، استعداداً لمجيء الرب المخلص. وأن الإدعاء أنهم من نسل إبراهيم حسب الجسد ، لا يعني شيئاً أمام الله. لأن الله قادر أن يقيم له أولاداً من أي شعب آخر. ولنلاحظ أن توبيخ يوحنا المعمدان لهؤلاء اليهود بالنهاية المؤلمة ، كان مشابهاً لأسلوب النبي إيليا ، في معاملته مع بني إسرائيل قديماً. لكن يوحنا المعمدان لم يقف عند هذا

الحد في كرازته ، بل أعلن للجموع قائلاً: " أنا أعمدكم بماء للتوبة . ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحمل حذائه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذي رفضه في يده وسينقي بيده ويجمع قمحه إلى المخزن. وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ." (بشارة متى ٣: ١١ و١٢)

هنا أخبر يوحنا المعمدان الجموع بحقيقة إرساليته أو خدمته ، أنه قد أتى فقط ليمهّد الطريق لمجيء الرب المخلص الملك. وأن هذا الذي سيأتي بعده أقوى منه وأعظم بكثير. حتى أنه غير مؤهل أن يحمل حذائه. وأنه إن كان هو يعمّد بالماء للتوبة، لكن الذي سيأتي بعده سيعمدّ بالروح القدس ونار. أي سيغسل ويطهر كل من يؤمن به بنار الروح القدس. وأنه سيدين كل من لا يؤمن به بدينونة النار الأبدية .

وهذا الذي حصل فعلاً بعد قيامة المخلص المسيح من بين الأموات ، وصعوده حياً إلى السماء. إذ تعمّد تلاميذ المسيح المجتمعين من الروح القدس ، وظهرت السنة منقسمة كأنها من نار ، واستقرّت على كل واحد منهم. وهو الذي لاحظناه أيضاً ، عند دراستنا لسفر النبي يوشيا ، الذي تنبأ عن حلول الروح القدس على البشر. أما بالنسبة لدينونة النار الأبدية ، فهي التي ستحصل عند الدينونة النهائية ، إذ سيدين الرب المسيح بها كل من لم يؤمن به.

لعل السؤال الآن: إذا كان يوحنا المعمدان قد مهّد الطريق إلى الرب المخلص يسوع المسيح فهل كان معاصراً له؟ وهل تقابل معه؟ للإجابة عن هذه التساؤلات التي طرحناها، نقول: نعم لقد عاصر يوحنا المعمدان ، الرب المخلص يسوع المسيح ، إذ ولد قبله بستة أشهر فقط ، ولقد قابله. لا بل إن يوحنا المعمدان كان قريباً للمسيح.

لهذا لم يكن غريباً أن يأتي الرب المخلص يسوع المسيح إلى نهر الأردن ، لكي يرى يوحنا المعمدان ، وليعتمد منه. ولما رأى يوحنا المسيح مقبلاً إليه قال للجموع: " هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم. هذا هو الذي قلت عنه يأتي بعدي رجل قد صار قدامي لأنه كان قبلي. وأنا لم أكن أعرفه. لكن ليظهر لإسرائيل لذلك جئت أعمد بالماء." (بشارة يوحنا ١: ٢٩-٣١) لقد كانت هذه أولاً نبوءة نطق بها يوحنا المعمدان عن الرب المخلص المسيح. إذ أعلن أن المسيح هو حمل الله، الخروف الذي سيرفع من أجل خطية العالم ، أي الذي سيموت للتكفير عن خطية الجنس البشري.

وهذا الذي حصل فعلاً بعدئذ كما نعلم ، إذ مات الرب المخلص المسيح على الصليب ، لكي يكفّر عن خطية الجنس البشري بأكمله. فهو صار حمل الله الذي رفع خطية العالم. وأضاف يوحنا المعمدان معلناً حقيقة هامة ثانية ، أن المسيح حمل الله هذا ، هو الشخص الذي سبق له أن قال عنه أنه سيأتي بعده. بالرغم من أنه كان قبله ، فهو الرب الموجود منذ الأزل. أما قول يوحنا

المعمدان أنه لم يكن يعرف المسيح ، فهو يقصد ، أنه لم يكن يدرك أنه المسيح الموعود به ، إلا عندما أتى إليه المسيح ليعتمد منه ، وبإعلان من الروح القدس. إذ كما علمنا كان يوحنا المعمدان من أقرباء المسيح. وأكد يوحنا المعمدان ثالثا ، أنه قد جاء لكي يعمدّ بالماء ، تمهيدا للإعلان عن المسيح المخلص الموعود به.

إن كل هذه الحقائق الثلاث مجتمعة ، تؤكد أن يوحنا المعمدان قد أتى لكي يهيء الطريق أمام الرب المخلص المسيح. أي بالضبط تماما كما جاء في نبوءة النبي ملاخي ، عن مجيء النبي الذي سيمهد الطريق أمام الرب المسيح ، والتي هي محور دراستنا.

وعندما طلب المخلص المسيح من يوحنا المعمدان أن يعمدّه ، احتج يوحنا قائلا له: " أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليّ." فأجابه الرب المسيح: " وقال له اسمح الآن. لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر. حينئذ سمح له." (بشارة يوحنا ٣: ٤ و ١٥) لقد كان يجب على المسيح إذن أن يعتمد ، لكي يؤكد للجميع أنه أكمل كابن للإنسان المطلوب منه. وعندها عمدّ يوحنا المعمدان الرب المسيح في نهر الأردن ، أي غطّسه بالماء. لكن عند صعود الرب المسيح من الماء ، حصل أمر مفاجئ لم يكن أحد يتوقعه. واشتركت جميع البشائر الأربع بإخبارنا عن هذا الحدث الهام.

كتب البشير متى، أنه عند صعود المسيح من الماء: " وإذا السموات قد انفتحت له فرأى - أي يوحنا المعمدان - روح الله نازلا مثل حمامة وأتيا عليه. وصوت من السموات قائلا هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت." (بشارة متى ٣: ١٦ و ١٧) وعندها: " شهد يوحنا قائلا إني قد رأيت الروح نازلا مثل حمامة من السماء فاستقرّ عليه. وأنا لم أكن أعرفه. لكن الذي أرسلني لأعتمد بالماء ذلك قال لي الذي ترى الروح نازلا ومستقرا عليه فهذا هو الذي يعمدّ بالروح القدس. وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله." (بشارة يوحنا ١: ٣٣ و ٣٤) كان من الضروري إذن ، أن يشهد الله الأب ليوحنا المعمدان ، عن الرب المسيح. ليؤكد له أن هذا هو المخلص الآتي الذي سيعمدّ الناس بالروح القدس ونار. وأنه هو ابن الله ، الكلمة الأزلي ، الرب المسيح.

سنتابع صديقي الحديث عن يوحنا المعمدان وإتمامه لنبوءة النبي ملاخي ، في اللقاء القادم إن شاء الله.